سلسلة مطويات شبكة بينونة

أمور خمسة لتقوية الإيمان

الشيخ
د محمد بن غالب العمري

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فإن أهل العلم ذكروا أمورًا خمسة لتقوية الإيمان:

أما الأمر الأول: فهو تدبر القرآن، ولا شك أن تدبر القرآن مما يُصلح القلوب، بل ومما يُصلح الألسن والجوارح، يقول ربنا جَلَّ وَعَلَا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ [محمد: ٢٤].

وهذا استفهام يدل على الأمر، والمعنى: تدبروا كتاب الله جَلَّ وَعَلَا تجدون فيه الهِداية فإذا تدبر الإنسان القرآن بتدبرِ معانيه سواءً في مسائل الإيمان، أو ما يتعلق بالأحكام والحدود، أو في قَصص الأنبياء، فإنه لا شك سيدله على الهداية، والقرآن بأقسامه الثلاثة، وهو ما يتعلق بالإيمان بالله أمر التوحيد، أو ما يتعلق بالأحكام الشرعية، أو ما يتعلق بقَصص الْقُرْآنِ؛ كل ذلك سبب لزيادة الإيمان، ولكن السبيل إلى ذلك هو أمر التَدبُر.

وهذا التدبر لم يكن يومًا من الأيام في تاريخ الإسلام على ما سار عليه أهل العلم والإيمان لم يكن أمرًا متاحًا لكل أحد وعلى كل سبيل، بل له قواعد لابد أن يسير بها الإنسان حتى تؤدي به إلى صلاح قلبه، وإلى حُسن التعبد لله سبحانه وتعالى، وهو أمر معرفة التفسير الصحيح، بالنظر في تفسير كلام الله جَلَّ وَعَلَا من كلام الله، أو في تفسير كلام الله جَلَّ وَعَلَا من كلام نبيه ﷺ، أو تفسير كلام الله جَلَّ وَعَلَا فيما ورد عن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، أو تفسير كلام الله جَلَّ وَعَلَا فيما أجمع عليه التابعون، أو تفسير كلام الله جَلَّ وَعَلَا فيما دلت عليه لغة العرب؛ إذًا هذا هو سبيل التدبر للقرآن وهي هذه الخمسة المراتب التي تؤدي إلى مسألة النفع، وإلى تقوية الإيمان.

الأمر الثاني: هو العناية بالأحاديث النبوية والتأمل في سيرته ﷺ، فإن مَن يرجو صلاح قلبه، ويحرص على استقامة جوارحه وعلى حُسن التعبد لله سبحانه وتعالى لن يفارق أبدًا هديه ﷺ ولن يستغني عن سُنته، فإن النبي ﷺ قد ذكر لنا قاعدة عظيمة في أمر الإتباع قال فيها عليه الصلاة والسلام: «**ومَن رغب عن سُنتي فليس مني**»[1].

و«**ليس مني**» بعض أهل العلم يحملها على إطلاقها من باب الزجر ليس على سبيلي، وبعضهم يفصلها على سبيل التفسير، «**ليس مني**» ليس على طريقتي، ليس على هديَّ وإن كان من أهل الإسلام، وهذا واردٌ في سُنة النبي ﷺ في أحاديث كثيرة «**ليس منا**».

فإذا تأمل الإنسان في سيرة النبي ﷺ ازداد إيمانه، وحسُن عمله، ولم يجعل الله سبحانه وتعالى من البشر مَن يجب إتباعه إلا نبيه ﷺ فهو واجب الإتباع على الإطلاق، ومَن دون النبي ﷺ من أفضل الخلق بعده ﷺ وهو أبو بكر ثم عمر، فإن إتباعهم على ما وافق سُنة النبي ﷺ، أو ما كان من سُنة الخلفاء الذي لم يخالف نصًا، وإلا فإن ابن عباس رضي الله عنهما قد جاء عنه في الأثر المشهور ما يدل على ضبط هذه المسألة حين سأله أُناس عن أمرٍ في الحَج فأجابهم ثم قالوا: لكن أبا بكر قال كذا وكذا وعمر قال كذا وكذا، فقال لهم الكلمة المشهورة: «تكاد تنزل علينا حجارةٌ من السماء أقول لكم قال رسول الله ﷺ وتقولون قال أبو بكر وعمر!».

ومعنى هذا: أن الإتباع المطلق الذي لا يجوز النقاش فيه هو إتباعه ﷺ والأخذ بهديه، ولذلك كان ﷺ كثيرًا ما يُكرر في خُطبته: «**وخير الهدي هدي محمدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**»[2].

(١) صحيح البخاري (٥٠٦٣)، صحيح مسلم (١٤٠١).
(٢) سنن ابن ماجه (٤٥)، وصححه الألباني.

• **والعناية بالسُنة النبوية في أمورٍ ثلاثة:**

الأمر الأول: في حفظ الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ ويُشترط في ذلك معرفة صحتها.

والأمر الثاني: العمل بما تقتضيه هذه الأحاديث في جهة الأمر، أو في جهة النهي، أو في جهة الاستحباب، أو في جهة الكراهة؛ بما يقتضيه الحديث.

والأمر الثالث: الاقتداء به ﷺ فيما ورد من أمر سيرته وأخلاقه، في أمر سيرته وأخلاقه ﷺ، والله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

الأمر الثالث: قال أهل العِلم: «مما يقوي الإيمان ويُصلح حال العبد محاسبته لنفسه».

• **فالنفس يا رعاكم الله المذكورة في النصوص على أحوالِ ثلاثة:**

إما نفسٌ أمارةٌ بالسوء وهي التي تدعو صاحبها إلى الضلال والانحراف سواءً في باب الشهوات أو في باب الشُبهات، وكان النبي ﷺ يستعيذ منها: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا»[٣]، الله عز وجل قال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

ونفسٌ لوامة: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١-٢].

وهذه اللوامة على تفسيرين عند أهل العِلم: فقيل التي تلوم صاحبها المقصر فتدعوه إلى فعل الخيرات، وقيل: اللوامة العكس من ذلك، وإن كان في أكثر كلام أهل العلم المعنى الأول، فهي نفس المؤمن التي تلومه على التقصير، وتلومه على ترك الواجبات.

---

(٣) سنن أبي داود (١٠٩٧)، وضعَّفه الألباني.

والنفس الثالثة هي أعلى هذه المراتب، وهي النفس المطمئنة، وهي أعلى ما يصل إليه العبد، وهي نفس المؤمن التي قد قادها إلى فعل الصالحات، والمستحبات وإلى ترك المحرمات والمكروهات وهي منزلةُ السابقين، المسارعين في الخيرات، وهذه أعلى ما ينبغي أن يكون عليه العبد.

إذًا من أسباب تقوية الإيمان أن يحاسب العبد نفسه على التقصير، ولابد أن ننبه هنا إلى أن محاسبة النفس على التقصير أعظم من محاسبة النفس على فعل المحرمات؛ لأن كثيرًا من الناس ينظر في باب المخالفة إلى فعل المحرم ولا ينظر إلى ترك الواجب.

ومثال ذلك: لو أن الإنسان نام عن الصلاة وهو متهاون في ذلك، يعني لم يكن غافلًا أو نائمًا وإنما قصد ذلك فحصل أن فرط في صلاة الجمعة سواءً صلاة الفجر أو غيرها من الصلوات حتى خرج وقتها، فإن كثيرًا من الناس ربما لا يلوم نفسه بذلك اللوم أو لا يشعر بتلك المصيبة التي حصلت له وهي ترك الصلاة، أو أي أمر آخر من الأمور الواجبة، لكن نجد في نفس الوقت أنه ربما يجد في نفسه نوع لوم على فعل شيءٍ من المُحَرم، كالنظر المُحَرم أو كالغيبة يعني ما يتعلق بمعاصي اللسان أو ما يتعلق بمعاصي الأذن أو العين أو نحو ذلك، وهذا من الغفلة.

ولذلك قال أهل العلم وبعض المحققين منهم: «أن محاسبة النفس على ترك الواجبات أعظم من محاسبتها على فعل المحرمات، والتوبة من التقصير أعظم من التوبة من فعل المحرم».

وأمر محاسبة النفس هذا أمرٌ سار عليه السلف حتى ورد عن عمر رضي الله عنه وأرضاه أنه كان لا ينام حتى يحاسب نفسه، هو الوارد عنه رضي الله عنه أنه قال: «حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا وزِنوا أعمالكم قبل أن تُوزن لكم»، ومَن نظر في تراجم

في سيرهم وجد شدة محاسبتهم لأنفسهم؛ لأن النفس تغفل ولاسيما مع كثرة المشاغل وتشعب الأعمال فإن الإنسان ربما يغفل عن محاسبة نفسه على كثيرٍ من التفريط كما يغفل عن كثيرٍ من الإفراط الذي يحصل منه.

الأمر الرابع من أسباب صلاح القلب وتقوية الإيمان: صحبة الأخيار، وأصل ذلك في قوله ﷺ كما في السُنن: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم مَن يُخالل**» (٤) مَن يُصاحب، مَن يُجالس، فإن الجليس مؤثر في جليسه، والصاحب مؤثرٌ في صاحبه، وكما يقال: الصاحب ساحب.

ولذلك لابد أن تتأمل في مُجالسك مَن هو؟ فإما أن يكون سبيلًا لك إلى رضوان الله جَلَّ وَعَلَا وزيادة الإيمان، وإما أن يكون سبيلًا إلى المعصية أو إلى الفتور على أقل تقدير، وعدم التنشيط في أمر العبادة، فمَن تحبه قد يكون من أعدائك من حيث لا تدري، ولذلك صُحبة الأخيار للقلب دواء، ومنهم مَن هو شفاء، ومنهم مَن هو غِذاء، ومنهم مَن هو عافية، وقد يكرمك الله جَلَّ وَعَلَا بأن تصاحب فلانًا من الناس فتنتفع منه في دنياك قبل أن تنتفع منه في دينك.

فالحرص على صُحبة الأخيار أمرٌ ليس على سبيل الندب أو الأفضلية بل هو على سبيل الوجوب، ولذلك الله عز وجل قال: ﴿ **ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ** ﴾ [الزخرف: ٦٧]، أهل التقوى تُفيدك صُحبتهم في هذه الدنيا وتُفيدك في الآخرة، ولذلك جاء في الحديث: «**لا تصاحب إلا مؤمنًا، ولا يأكل طَعامك إلا تقي**» (٥) وهذا لمنزلة الرفيق والصديق والصاحب.

«**فمَثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المِسك ونافخ الكير**» (٦) لماذا صُحبة الأخيار تقوي الإيمان؟

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٨٠٢٨).
(٥) سنن أبي داود (٤٨٣٢)، وحسَّنه الألباني.
(٦) صحيح البخاري (٥٥٣٤)، صحيح مسلم (٢٦٢٨).

لأنه كما قال العلماء ومنهم ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أن الصاحب الصالح إن نسيت ذَكَرك، وإن ذَكَرت أعانك، وإن غفلت نَبهك، فإنك لا تُعدم منه الخير أبدًا».

وعلى هذا فميزان الرفيق الصالح مَن يزدك إيمانًا، لا مَن يوافقك في الطِباع فإن النفس تميل إلى توافق الطِباع، وتوافق الطِباع هو من باب العادات وليس من باب العبادات، ومعنى ذلك أن تتوافق معه على هِواية، أو تتوافق معه في الفَهم أو في الفِكر أو في العناية ببعض الأمور وهذا لا ينفعك في آخرتك قد ينفعك في دنياك، لكن الحرص على أن تنتفع منه في أمرِ الآخرة.

الأمر الخامس الذي ذكره أهل العلم في أسباب تقوية الإيمان: حضور مجالس العلم واستماع المواعظ، وهذا أمرٌ معلومٌ لدى الجميع وإنما يذكر من باب التذكير والتكرار، فإنه في الحديث: «**ما جلس قومٌ في بيتٍ مِنْ بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة**» (٧).

ولا شك أن هذا أجرٌ عظيم: «**مَنْ سَلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له به طريقًا إلى الجنة**» (٨)، والأصل في مجالس العِلم هي الحضور الحقيقي لا الحُكم وإن كان ينتقل الأمر إلى الحُكم في حال تعذر الحضور.

فالأصل فيما وَرْدَ في فضائل مجالس العِلم هي للحضورِ، ولكن لا شك أن مَنْ حرِص ولم يتيسر له الحضور فإنه يؤجر بإذن الله على ذلك.

فمجالس العِلم يستمع الإنسان فيها إلى آيةٍ مِنْ كتاب الله جَلَّ وَعَلَا، وإلى حديثٍ مِنْ أحاديثه ﷺ، ويحصل له مِنْ المنافع ما لا يحصل لغيره ممَن لا يحضُر هذه المجالس.

---

(٧) سنن أبي داود (١٤٥٥)، وصححه الألباني.

(٨) صحيح مسلم (٢٦٩٩).

مِنْ ذلك: أنه في هذه الأوقات يحبس نفسه لله سبحانه وتعالى في سماع الخير؛ فيبتعد أشد ما يكون عن المعاصي والذنوب والمخالفات.

والأمر الثاني: أنه في بيتٍ من بيوت الله جَلَّ وَعَلَا.

والأمر الثالث: أنه يلتقي بإخوانه وأحبابه وأصحابه، ولا شك أن هذا له أثرٌ في القلب يعلمه مَن جربه، ويُحرَم منه مَن ابتعد عن هذه المجالس.

ثم أيضًا: ما ورد في الحديث: «**تحفهم الملائكة وتغشاهم الرحمة**»(٩)، بل جاء في الحديث أن فلان ليس منهم، جاء له حاجة وجلس ما جاء لمجالس العلم، فقال ربُنا جَلَّ وَعَلَا: «**هم القوم لا يشقى بهم جليسهم**»(١٠).

هذه المجالس تؤثر حتى في غير أصحابها الذين يقصدونها، شخص جاء عابرًا وجلس تشمله تلك الرحمة، ويشمله ذلك الفضل؛ هذا فضلٌ عظيم من ربٍ عظيم سبحانه وتعالى.

---

(٩) سبق تخريجه.
(١٠) صحيح مسلم (٢٦٨٩).